لما في القلب ما يناسبه والابيات انما نظمها الشعرا اعرابا بها عن احوال القلب فلا يحتاج في فهم الحال منها الى تكلف نعم من يستولى عليه حال غالبة قاهرة لم تبق فيه متسعا لغيرها ومعه تيقظ وذكا ثاقب يتفطن به للمعاني البعيدة من الالفاظ القريبة فقد يحضر وجده على كل مسموع كمن يخطر له عند ذكر قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم حالة الموت الموت المحوج الى الوصية وان كل انسان لابد وان يخلف ماله وولده وهما محبوباه من الدنيا فيترك احد المحبوبين للثاني ويهجرهما جميعا فيغلب عليه الخوف والجزع او يسمع ذكر الله في قوله يوصيكم الله فيدهشه مجرد الاسم عما قبله وبعده او يخطر له رحمة الله على عباده وشفقته بان تولى قسمة مواريثهم بنفسه نظرا لهم في حياتهم وموتهم فيقول اذا نظر لاولادنا بعد موتنا فلا نشك في انه ينظر لنا فيهيج منه حال الرجا ويورثه ذلك استبشارا وسرورا او يخطر له من قوله للذكر مثل حظ الانثيين تفضيل الذكر بكونه رجلا على الانثى وان الفضل في الاخرة لرجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وان من الهاه غير الله عن الله فهو من الاناث لا من الرجال تحقيقا فيخشى ان يحجب او يوخر في نعيم الاخرة كما اخر في اموال الدنيا فامثال هذا قد يحرك الوجد ولكن لمن فيه وصفان احدهما حال غالبة مستغرقة قاهرة والاخرى تفطن بليغ وتيقظ كامل للتنبيه بالامور القريبة على المعاني البعيدة وذلك مما يعز فلاجل ذلك يفزع الى الغنا الذي هو الفاظ مناسبة الاحوال حتى يتسارع هيجانها وروي انه كان ابو الحسين النوري رضي الله عنه مع جماعة في دعوة فجرى بينهم مسالة في العلم وابو الحسين ساكت ثم رفع راسه وانشدهم يقول

رب ورقا هتوف بالضحى	ذات شجو صدحت في فنن
ذكرت الفا ودهرا صالحا	فبكت حزنا فهاجت حزني
فبكائي ربما ارقها	وبكاها ربما ارقني
ولقد تشكو فما افهمها	ولقد اشكو فما تفهمني
غير اني بالجوى اعرفها	وهي ايضا بالجوى تعرفني

قال فما بقي احد من القوم الا قام وتواجد ولم يحصل لهم هذا الوجد من العلم الذي خاضوا فيه وان كان العلم حقا وجدا الوجه الثاني ان القران محفوظ للاكثرين ومتكرر على الاسماع والقلوب وكلما سمع اولا عظم اثره وفي الكرة الثانية يضعف اثره وفي الثالثة يكاد يسقط اثره ولو كلف صاحب

الوجد الغالب ان يحضر وجده على بيت واحد على الدوام في مرات متقاربة في الزمان في يوم او اسبوع لم يمكنه ذلك ولو ابدل بيت اخر لتجدد له اثر في قلبه وان كان معربا عن عين ذلك المعنى ولكن كون النظم واللفظ غريبا بالاضافة الى الاول يحرك النفس وان كان المعنى واحدا وليس يقدر القاري على ان يقرا قرانا غريبا في كل وقت ودعوة لان القران محصور لا يمكن الزيادة عليه وكله محفوظ ومتكرر والى ما ذكرناه اشار الصديق رضي الله عنه حيث راى الاعراب يقدمون فيسمعون القران ويبكون فقال هكذا كنا حتى قست القلوب ولا تظنن ان قلب الصديق رضي الله عنه كان اقسى من قلوب الاجلاف من العرب وانه كان اخلى عن حب الله وحب كلامه من قلوبهم ولكن التكرر على قلبه اقتضى المرون عليه وقلة التاثر به لما حصل له من الانس بكثرة سماعه اذ محال في العادة ان يسمع السامع اية لم يسمعها قبل فيبكي ثم يدوم بكاوه عليها عشرين سنة يرددها ويبكي ولا يفارق الاول الاخر الا في كونه غريبا جديدا ولكل جديد لذة ولكل طارئ صدمة ومع كل مالوف انس يناقض الصدمة ولهذا هم عمر رضي الله عنه ان يمنع الناس من كثرة الطواف وقال قد خشيت ان يتانس الناس بهذا البيت اي يانسوا به ومن قدم حاجا فراى البيت اولا بكى وزعق وربما غشي عليه اذا وقع عليه بصره وقد يقيم بمكة شهرا ولا يحس من ذلك في نفسه باثر فاذن المغني يقدر على الابيات الغريبة في كل وقت ولا يقدر على ذلك في الايات الوجه الثالث ان لوزن الكلام بذوق الشعر تاثيرا في النفس فليس الصوت الموزون الطيب كالصوت الطيب الذي ليس بموزون وانما يوجد الوزن في الشعر دون الايات ولو زحف المغني البيت الذي ينشده او لحن فيه او مال عن حد تلك الطريقة في اللحن لاضطرب قلب المستمع وبطل وجده وسماعه ونفر طبعه لعدم المناسبة واذا نفر الطبع اضطرب القلب وتشوش فالوزن اذن موثر فلذلك طاب الشعر الوجه الرابع ان الشعر الموزون يختلف تاثيره في النفس بالالحان التي تسمى الطرق والدستانات وانما اختلاف تلك الطرق بمد المقصور وقصر الممدود والوقف في اثناء الكلمات والقطع والوصل في بعضها وهذا التصرف جائز في الشعر ولا يجوز في القران الا التلاوة كما انزل فقصره ومده والوقف والوصل والقطع فيه على خلاف ما تقتضيه التلاوة حرام او مكروه واذا رتل القران كما انزل سقط عنه الاثر الذي سببه وزن الالحان وهو سبب مستقل بالتاثير وان لم يكن مفهوما

Copyright © King Saud University